سابعًا - ترجمة جلال الدين السيوطي

- هو عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر بن محمد بن سابق الدين بن الفخر عثمان بن ناظر الدين محمد .. الخضيري، الأسيوطي.
- وُلِدَ بعد المغرب ليلة الأحد مستهلّ رجب، سنة تسع وأربعين وثمان مئة.
- نشأ يتيمًا، وحفظ القرآن وهو دون ثمان سنين، ثم حفظ العمدةَ، ومنهاج الفقه والأصول، وألفية ابن مالك، وقيل أحضره والده مجلس الحافظ ابن حجر.
- شرع في الاشتغال بالعلم من مستهلّ سنة أربع وستين، فأخذَ الفقه والنحو عن جماعة من الشيوخ. وأخذ الفرائضَ عن العلامة شهاب الدين الشارمساحي.
- وألّف في هذه السنة - وهو أوّلُ ما ألّف - «شرح الاستعاذة والبسملة» وأوقفَ عليه شيخَهُ علم الدين

البُلقيني، فكتب عليه تقريظًا، ولازمه في الفقهِ إلى أَنْ ماتَ، فلازمَ ولدَه.

- أُجيز بالتدريس والإفتاء من سنة ست وسبعين.
- ثم لازمَ الشيخ شرف الدين المناوي سنة ثمانٍ وسبعين، وقرأ عليه قطعةً من المنهاج...
- ولزم في الحديث والعربية الشيخ تقي الدين الشبلي الحنفي، فواظَبَه أربع سنين، و كتب له تقريظًا على شرح ألفية ابن مالك، وعلى جمع الجوامع في العربية، وشَهِدَ له بالتقدم في العلوم.
- وأخذ عن الشيخ محيي الدين الكافيجي الفنونَ من التفسير والأصول والعربية، والمعاني، أربع عشرة سنة.
- شرع في التصنيف سنة ست وستين، وبلغت مؤلفاته قريبًا من ألفِ مؤلَّف، من أهمِّها: الإتقانُ في علوم القرآن، الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور، وهمع الهوامع شرح جامع الجوامع في العربية، الأشباه والنظائر في

النحو، المُزهر، والجامع الكبير، والجامع الصغير، وكتب أخرى.

- كثرت رحلاته لطلب العلم، فسافر إلى الفيوم والمحلة ودمياط، ورحل إلى بلاد الشام، والحجاز، واليمن، والهند، والمغرب، والتكرور.
- لقد عاش الإمام السيوطي في عصر دولة المماليك البرجية أو الجراكسة، وعاصر من السلاطين على قصر عمره ما يربو على العشرة، وقد وقع بين نقيضين: مدح بلغ أعلى درجاته، وذم نزل إلى أسفل دركاته، ولما كان الناس بزمانهم أشبه، فقد أفاد من حسنات عصره، و ناله من سيئاته اليسير، وذكر أن جده الأعلى كان أعجميًا ومن الشرق.
- وقد رزق السيوطي التبحر في سبعة علوم: التفسير، والحديث، والفقه، والنحو، والمعنى، والبيان، والبديع على طريقة العرب البلغاء، ووثق بنفسه فيها، حيث

قال: إن الذي وصلتُ إليه من هذه العلوم السبعة سوى الفقه والنقول لم يصل إليه ولا وقف عليه أحد من أشياخي.

■ وللسيوطي – رحمه الله – نزعة صوفية تأسيًا بجده الأعلى همام، ولكن علمه بالكتاب والسنة حماه – فيما يظهر – من كثير من شطحات الصوفية، و قد أثنى شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – على بعض المتصوفة كالجنيد والجيلاني؛ لأن طريقتهم مقيدة بالكتاب والسنة، بينما وصف أمثال ابن عربي، و ابن سبعين وابن الفارض والحلاج بأنهم من ملاحدة الصوفية، وأطلق على آخرين منهم وصف موسوية المحمدية، وعيسوية المحمدية؛ وذلك لأن الصوفية أقرب الطوائف شبهًا باليهود والنصارى؛ فعقيدة الحلول والاتحاد ، وصرف العبادة للمقبورين، و بناء المساجد على القبور، واتخاذ الموالد، وترك النظافة، ودخول الخرائب، والعيش على

طعام واحد والأذكار المبتدعة، وترك الزواج.... مسائل كثيرة تتشابه فيها الصوفية مع النصرانية.

- وعندما تقدم به العمر، اعتزلَ الناسَ، وخلا بنفسه في منزله في روضة المقياس - على النيل - منزوياً عن أصحابه جميعًا، متباعداً عن ذوي الجاه والسلطان.
- ماتَ بمنزله في روضة المقياس سنة (٩١١) بعد أن تمرَّضَ سبعة أيام بورمٍ شديد في ذراعه الأيسر، وقد استكمل من العمر (٦٢) عامًا، ودُفن في حوش قرصون خارج باب القرافة، وصُلِّيَ عليه غائبةً بدمشق بالجامع الأموي.
- تُرجم في «حسن المحاضرة» (١/ ٣٣٥ - ٣٤٢)، «الضوء اللامع» (٤/ ٦٥)، «الكواكب السائرة» (١/ ٢٢٦)، «البدر الطالع» (١/ ٣٢٨)، «الشذرات» (٨/ ٥١)، «النور السافر» (٥٤) .. وكتب أخرى.